

## "مَرِيَمُنَا" / "Notre Marie" / "Our Mary"

"حريقٌ في نوتردام". نار الخبر العاجل وصلتني إلى عمان عبر الهاتف، حيث افتتح معرضي: "زفت لاند". شعرتُ أن الخبر عن حريقٍ أو انفجار بيتٍ أو مسجدٍ أو كنيسة في فلسطين حيث نيران الاحتلال. عرفت مع هذا الشعور، أن باريس أصبحت مدينتي وبيتي المنفيّ ربّما إلى الأبد. فهو الصراع عينه بين المقدّس والملعون.

عاد بيتنا الصغير في مخيم رفح في تلك اللحظة إلى ذاكرتي. فغرفة الجلوس مطلةٌ نوافذها على الشارع الرئيسي الذي يفتحته جنود الاحتلال بعنادهم ونيرانهم. وقد أرغمتني أيام وليالي منع التجوّل القاسية (مع بداية الانتفاضة الأولى 1987) للجوء إلى مكتبة أبي. حيث اكتشفت عالم القراءة والرسم. محاولة لقتل الملل، وقتل الخوف من الجلوس في مرمى قنابل الغاز وقنابل الصوت، والنار.

هناك بالذات، قرب النافذة المطلة على نيران الاحتلال في مخيم رفح، قرأت الترجمة العربية لرواية "أحده نوتردام" - فيكتور هوغو. فعشتها وعشقها بكل تفاصيلها. صدمة الخبر العاجل عن نوتردام، أحضرت إلى ذهني وصف الحريق في الرواية. وللمفارقة، حضرت معها لحظات وصولي إلى مرسى في "المدينة الدولية للفنون" في باريس عام 2006. ومعها، سعادتي بالنافذة الكبيرة المطلة على نهر السين وكاتدرائية نوتردام بالذات. التي كانت تفصلني عنها دقائق فقط مشياً. هكذا، أصبحت جارا لأحده ساكنها. فكانت "نوتردام" عملياً المكان الأوّل للقائي مع قلب "عاصمة الأنوار". قلبٌ وصلني نبضه - إلى نافذة الطفولة - مع أحدها في الرواية. لذا، فالحريق الذي أصاب "نوتردام" هو حريق في القلب. تماماً كلوحات "زفت لاند" التي كنت أعرضها في الوقت نفسه في عمان. ولكن هذا الزفت<sup>2</sup> من نوع آخر، لا علاقة له بمحتل يحرق القلب والبيت معاً.

بنى خيطُ الذاكرة عملي. فالأدب، وحجم الاحساس به عند اكتشافه في الكتب، فتح لي نافذة من نور، لأرسم. اليوم أكمل تقنياً من حيث انتهت الأعمال السابقة في معرضي الأخير: "زفت لاند". وهذه الأعمال الأخيرة كما كتبت في بيان المعرض: "ما هي المقاربات مفاهيمية لحجم الدمار والحريق والألم. لأجد نفسي في مواجهة معنى الاشتباك بين المقدّس والملعون، سواء على الأرض أو في العمل الفني. وهنا وجدت نفسي أسأل، هل ثمة من فرق؟"<sup>3</sup>

أما في لوحة "مَرِيَمُنَا"، فقد اخترتُ تشكيلها بالزفت مع ألوان الباستيل الطباشيرية، للربط البصري بين استخدامي الراهن لمادة الزفت، وبين الذاكرة وما كنت أستخدمه في طفولتي من مواد بسيطة كالباستيل. فخيطُ الذاكرة هو ما دفعني لخيار العمل على طبقات تقترب وتتعد لتخلق عملاً جوفياً - إن صح التعبير - ضمن أبعادٍ ومناظيرٍ لونيةٍ مختلفةٍ دون اللجوء إلى الخطوط.

ف"مَرِيَمُنَا" خيارٌ بصريٌّ مربوطٌ بالذاكرة كما الراهن، وكذا هي خيارٌ مفهوميٌّ بعنوانها. ليس فقط حضارياً وتاريخياً وأركيولوجياً وثقافياً، بل هي وفي الأصل: "مَرِيَمُنَا"، مَرِيَمُ الفلسطينية. ومَرِيَمُ تحترق كل يوم، وتُمنع من قول قصتها. وهي: "فلاحة فلسطينية تكلمت إليها"<sup>4</sup>.

هاني زُعرُب

تشرين الأوّل/أكتوبر 2019 - باريس

<sup>1</sup> "Tous les yeux s'étaient levés vers le haut de l'église. Ce qu'ils voyaient était extraordinaire. Sur le sommet de la galerie la plus élevée, plus haut que la rosace centrale, il y avait une grande flamme qui montait entre les deux clochers avec des tourbillons d'étincelles, une grande flamme désordonnée et furieuse dont le vent emportait par moments un lambeau dans la fumée." Victor Hugo (Notre Dame de Paris- 1831) page 488

<sup>2</sup> كلمة "زفت" والتي تستخدم عادة في فلسطين والمنطقة العربية عموماً كمصطلح ازدرائي يعبر عن مجموعة واسعة من المشاعر؛ من حالة ذهنية محببة أو مثيرة للاشمئزاز، وأحياناً تشير إلى سوء الحظ أو هي طريقة لوصف وضع كربه. Extrait du livre édité à l'occasion de l'exposition "ZeftLand", de Hani Zurob, présentée à la galerie Karim, Amman, Jordanie, du 13 avril au 30 mai 2019.

<sup>3</sup> Extrait du livre édité à l'occasion de l'exposition "ZeftLand", de Hani Zurob, présentée à la galerie Karim, Amman, Jordanie, du 13 avril au 30 mai 2019.

<sup>4</sup> En référence au poème de Najwan Darwish intitulé "Devant une Eglise à la Colonie d'Antigua":

(...) منذ ألفي سنة وهم يمنعون تمثالها من الكلام  
يمنعونها من أن تقول قصتها  
فلاحة فلسطينية صغيرة  
تكلمت إليها وتغرّبت  
منذ ألفي سنة وهي مقيّدة بالحجر والطين  
سجينة تماثيلها الصامتة  
لا تتكلم التي تكلمت إليها إلا حين يصل زائرٌ من قريتها" (..)